أغراض أساليب توجيه الخطاب للرسول ﷺ من خلال القرآن الكريم (الحث والتسلية نموذجان)

Purposes and Methods of Guiding the Discourse to the Prophet (PBUH) through the Holy Quran: Encouragement and Consolation

إعداد

د. عبد الرحمن يتيم الفضلي[1]

الأستاذ المشارك بقسم التفسير والحديث

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت

(١) تم دعم وتمويل هذا البحث من قبل جامعة الكويت، مشروع رقم: HH ٥/٢٣.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة وتحليل الآيات الواردة في خطاب الله تعالى لنبيﷺ وذلك لاستنباط أغراض هذا الخطاب، وقد انتخبت من هذه الأغراض نوعين، وهما: الحث والتسلية.

ويهدف البحث إلى الكشف عن أبرز الموضوعات التي تناولها هذا الخطاب الإلهي، وكذلك الكشف عن أغراضه، إضافة إلى تسليط الضوء على لطائفه ومعانيه، من خلال تحليل غرضي الحث والتسلية.

وأظهر البحث عظيم العناية الإلهية بالنبي صلى الله عليه وسلم، حيث تنوعت الصور التي ورد فيها هذين الغرضين، حيث جاء غرض الحث على خمس صور، في حين جاء غرض الحث على عشر صور كما بينت ذلك في البحث.

الكلمات المفتاحية:

أغراض : أساليب : خطاب : حث : تسلية.

Abstract:

his research analyzes and studies the verses in Allah's discourse to His Prophet (PBUH) in order to infer the purposes of this discourse. From among these purposes, I have selected two types: encouragement and consolation.

The research aims to uncover the most prominent topics addressed in this divine discourse, as well as reveal its purposes, in addition to shedding light on its subtleties and meanings, through analyzing the purposes of encouragement and consolation.

The research demonstrates the great divine care for the Prophet (PBUH), as the form in which these two purposes appeared varied. The purpose of encouragement appeared in five forms, while the purpose of consolation appeared in ten forms, as explained in the research.

Keywords:

Purposes, methods, discourse, encouragement, consolation

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فمن أهمِّ ما يعتني به أهل العلم معرفة معاني كتاب الله تعالى، ودلالات آياته، ووجوه خطابه، وقد تكلم أهل العلم عن ذلك، وفصَّلوا فيه القول.

ومن أهمِّ ما ينبغي وقوع العناية به: الخطاب الموجه للنبي ﷺ في القرآن، بحيث يتناوله الباحثون من وجوهه المختلفة، لما فيه من تعظيم قدره ﷺ، وتعزيز منزلته.

ولما كان هذا الأمر بهذه المنزلة رأيت أن يكون بحثي هذا عن جزء من هذا الموضوع لم أر من تكلم عنه، وهو: (أغراض أساليب توجيه الخطاب للرسول ﷺ من خلال القرآن الكريم : الحثُّ والتسليةُ نموذجاً:).

وذلك لتجلية شيء من الأغراض التي تضمنها خطاب النبي في القرآن الكريم، والتركيز على غرضين من أهم الأغراض، وهما: الحثُ والتسليةُ.

هذا .. ويطيب لي أن أقدم الشكر الجزيل لقطاع الأبحاث في جامعة الكويت على ما قاموا به مِن دعمٍ ماليّ ومعنوي لهذا البحث، (٣٢/٥٠HH) فجزاهم الله عني خير الجزاء. وأسأل الله التوفيق والتسديد ، والمَدَد والتأييد، وأسأله وهو خير مسئول ، أن يمُنَّ علينا بالإخلاص فيما نقول ، وأن يجعل عاقبة هذا القول القبول.

وأسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يوفق ويعين ويتقبل بفضله وكرمه.

الدراسات السابقة:

بعد البحث لم أقف : بحسب اطلاعي : على دراسة تفسيرية موضوعية تناولت دراسة أغراض أساليب خطاب الله تعالى لنبيه ﷺ في كتبه، إلا أني وجدت عددًا من الدراسات التي تناولت أسلوبا خاصا من أساليب الخطاب، من هذه الدراسات:

• خطاب الله جل جلاله للنبي ﷺ بـ «قل» في القرآن الكريم، للباحث يوسف بن جاسر الجاسر، وهي رسالة علمية منشورة تقدم بها لنيل درجة الماجستير في تخصص التفسير بكلية التربية بجامعة الملك سعود، عام ١٤٣٥ هـ.

وهذه الدراسة تناولت أسلوب الأمر، وخصصت لفظ «قل» من بين ألفاظه بالدراسة لكثرة وروده في القرآن الكريم، حيث ورد في (٣٢٦) موضع.

• النداء الإلهي للنبي ﷺ في القرآن الكريم، للباحث حمزة عبد الله سعادة شواهنة، وهي أطروحة ماجستير مقدمة في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين بإشراف الدكتور: عودة عبد الله، عام (٢٠١٤ م).

• أساليب الخطاب في القرآن الكريم دراسة تناول، للدكتور عبد القادر محمد المعتصم دهمان، نشر الوعي الإسلام، ت: ٢٠١٥ م.

وهذه الدراسة تناولت الأساليب عامة في القرآن الكريم مع بيان أغراضها، أما هذا البحث فيتناول الخطاب الموجه للنبي ﷺ.

وهناك دراسات أخرى تناولت الخطاب في دراسات لغوية، وهي بعيدة عن حقول التفسير الموضوعي.

ما يضيفه البحث:

هذه الدراسة تتعلق بأغراض الخطاب للنبي ﷺ في القرآن الكريم، وتركز على غرضين مهمين، وهما: الحثُّ والتسليةُ، وكيفية ورودهما في خطاب النبي ﷺ القرآن الكريم.

أسئلة البحث:

يتناول هذا البحث أموراً مهمة تتعلق بأغراض خطاب النبي ﷺ وهي: ما هي أغراض الخطاب الموجه للنبي ﷺ في القرآن الكريم؟ وكيف تمَّ تناول هذه الأغراض في الآيات الكريمة؟

أهمية الموضوع:

- يكتسب الموضوع أهميته من جلالة المخاطِب سبحانه وتعالى، وشرف مقام المخاطَب ﷺ.
- أن تحليل هذا الخطاب مُعِين على الكشف عن موضوعاته، وسبل امتثاله.
- يتعلق بباب من أبواب العقيدة، وهو الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ.

أهداف الموضوع:

- استنباط أغراض أساليب خطاب الله للنبي ﷺ في كتابه.
- الكشف عن أهم الموضوعات التي تناولها هذا الخطاب.
- الوقوف على اللطائف والمعاني المتعلقة بهذا الخطاب.

حدود البحث:

يتناول هذا البحث أغراض خطاب النبي ﷺ في القرآن الكريم مقتصراً على غرضين فقط من الأغراض، وهي: الحث والتسلية.

منهج البحث:

المنهج المتبع هو المنهج الاستقرائي الجزئي التحليلي الموضوعي، المتمثل في دراسة ما ورد في هذه المسألة من آيات، ومن ثم تفسيرها واستنباط معانيها للوصول إلى الغرض منها.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومطلبين، ثم الخاتمة فيها أهم النتائج.

وقد جاء في المقدمة: أسئلة البحث، وأهمية الموضوع، وأهداف وسبب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وما يضيفه البحث، وحدود البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث.

ثم التمهيد: وفيه: التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفردات العنوان.

المطلب الأول: الحث: وفيه خمس مسائل:

المطلب الثاني: التسلية: وفيه عشر مسائل:

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

التمهيد: وفيه: التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفردات العنوان:

الأغراض لغة واصطلاحًا:

الغَرَضُ: الهدف الذي يرمى فيه. وفهمتُ غَرَضَكَ، أي قصدك [١].

قال الراغب الأصفهاني: « الغَرَضُ: الهدف المقصود بالرّمي، ثم جعل اسما لكلّ غاية يتحرّى إدراكها، وجمعه: أَغْرَاضٌ»[٢].

الغرض اصطلاحاً: عرفه أبو هلال العسكري بقوله: «الغرض هو المقصود بالقول أو الفعل»[٣].

ويلاحظ العلاقة الظاهرة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

الأساليب لغة واصطلاحًا:

الأسلوبُ لغةً: الفَنُّ، يقال أخذ فلانٌ في أساليبَ من القول، أي في فنونٍ منه [٤].

واصطلاحاً: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه [٥].

وفي هذا البحث تتبين العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، إذ أساليب القول هي طرق إيصال المتكلم لمراده، والمراد في خطاب القرآن الكريم للنبي ﷺ هي طريقة القرآن الكريم في ذلك.

الخطاب لغة واصطلاحًا:

الخطاب لغة: مراجعة الكلام [٦]، قال ابن فارس رحمه الله: «الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين» [٧].

واصطلاحاً: قال المناوي رحمه الله: «الخطاب: هو القول الذي يفهم المخاطب به شيئا» [٨].

وقال الكفوي رحمه الله: الْخطاب: «اللَّفْظ المتواضع عَلَيْهِ الْمَقْصُود بِهِ إفهام من هُوَ متهيئ لفهمه»[٩].

وهذه التعريفات الاصطلاحية هي تعريفات تتعلق بالخطاب عموماً، ولا تتعرض لأنواع خاصة من الخطاب مثل مفهوم الخطاب عند الأصوليين [١٠].

---

(١) انظر: الصحاح (١٠٩٣/٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص/ ٦٠٥).

(٣) الفروق اللغوية، (ص/ ٥٠٤).

(٤) انظر: الصحاح (١٤٩/١).

(٥) انظر: مناهل العرفان (٣٠٣/٢).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (١١٢/٧).

(٧) مقاييس اللغة (١٩٩/٢).

(٨) التوقيف في مهمات التعاريف (ص/١٥٦).

(٩) الكليات (٤١٩/١).

(١٠) انظر: شرح مختصر الروضة (٢٥٠/١)

الحث لغة واصطلاحًا:

الحث لغة: الإسراع[١]، قال الخليل: «الفرق بين الحض والحث أن الحث يكون في السير والسوق وكل شيء، والحض لا يكون في سير ولا سوق»[٢].

واصطلاحاً: قال المناوي رحمه الله: « الحث: التحريض على الشيء والحمل على فعله بتأكيد والإسراع»[٣].

وبين المعنيين اللغوي والاصطلاحي اتصال ظاهر، وأما عن تعلقهما بهذا البحث، فسنرى كيف أن الآيات كانت تحمل النبي ﷺ على فعل المأمورات الواردة في الآيات وتحرضه وترغبه في ذلك.

التسلية لغة واصطلاحًا:

التسلية لغة:

يدور معنى التسلية في اللغة على عدة معاني، وهي: اللهو أو الكشف أو الكف. فالكشف مِن: سلاه من همه كشفه عنه. والكف مِن: «سليتُ مباكي فلان: كففت عنه». واللهو مِن: «ما سَليْتُ: أي ما لَهيْتُ»[٤].

وفي لسان العرب: «سلاه وسلا عنه وسليه سلوا وسلوا وسليا وسليا وسلوانا: نسيه، وأسلاه عنه وسلاه فتسلى... وسلاني من همي تسلية وأسلاني أي: كشفه عني»[٥].

وأما التسلية في الاصطلاح فكما ذكر ذلك المناوي في فيض القدير فقال: «تخفيف ما في النفس من الحزن»[٦].

ويتحصل من التعريف اللغوي والاصطلاحي للتسلية بيان المراد بكونها من أغراض خطاب النبي ﷺ، لأنها كشف عن همومه وتخفيف لحزنه.

المطلب الأول: الحث، وفيه خمس مسائل:

إن مما استخدمه القرآن الكريم في ثنايا توجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ من الأساليب أسلوب الحثِّ، ليس إلا لِمَا في الحث من تجديد النشاط وزيادة الهمم، وقد تنوعت صور الحث في القرآن

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢٧٤/٣).

(٢) مقاييس اللغة (١٣/٢).

(٣) التوقيف في مهمات التعاريف (ص/١٣٥).

(٤) انظر: مختار الصحاح الرازي (ص ٣٢٦). والمحيط في اللغة، لإسماعيل بن عباد الطالقاني (٣٧٨/٨).

(٥) لسان العرب (٣٩٤/١٤).

(٦) انظر: فيض القدير، للمناوي (٤٠٥/١).

الكريم، ولعلّ من أشهرها:

حثُّه ﷺ على طلب العلم، وحثُّه ﷺ على الصلاة والتهجد، وحثُّه ﷺ على الجهاد وعدم موالاة الكفار، وحثُّه ﷺ على إبلاغ الرسالة والصبر عليها، وحثُّه ﷺ على الصفح، وفيما يلي تفصيل ذلك.

المسألة الأولى: حثُّه ﷺ على طلب العلم:

إن النفس البشرية قد يعتريها ما يعتري غيرها من الضعف أو الفتور، فحينها تحتاج لمن يحثها كي تستمر في العمل، أو كي يزيد نشاطها وعطاؤها، ومع أن النبي ﷺ كان حريصًا مجتهدًا على العلم وطلبه والزيادة منه، كما ذكَرَه سبحانه في قوله: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ ١١٤﴾ [طه: ١١٤]، وفي قوله عز وجل:﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾ [القِيَامَة: ١٦]، بل وكان أول أمر أُنْزِلَ على النبي ﷺ من القرآن في الحث على طلب العلم كما في قوله سبحانه: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العَلَق: ١ : ٥] يقول أبو السعود: {ٱقۡرَأۡ} أي: افعل ما أمرت به تأكيدا للإيجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى: {وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ } الخ، فإنه كلام مستأنف وارد لإزاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام: «ما أنا بقارئ»[1]، يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ وأنا أمي فقيل له: وربك الذي أمرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الأكرم {ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ } أي: علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما، وقوله تعالى: {عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ } بدل اشتمال من {عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ } أي: علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية والجلية والخفية مالم يخطر بباله»[2].

وأمر الباري عز وجل نبيَّه محمدًا ﷺ حاثًّا له على طلب العلم والزيادة منه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه: ١١٤][3].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد: ربّ زدني عِلْمًا إلى ما علمتني أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم»[4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ١٧٨).

(٣) قال الزمخشري: قيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العِلْم. (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٩٠).

(٤) جامع البيان (١٨/ ٣٨٢).

وقد امتثل النبي ﷺ هذا الأمر، فكان يدعو بذلك كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علما، والحمد لله على كل حال»[(١)].

المسألة الثانية: حثُّه ﷺ على الصلاة والتهجد:

إن مما يعين العبد على الثبات على الدين كثرة العبادة وخاصة الصلاة التي هي عمود الدين، بالإضافة إلى صلاة الليل التي هي شرف المؤمن، كما في الحديث أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به» ثم قال: «يا محمد: شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس»[(٢)].

وقد حث الباري عز وجل نبيه محمدًا ﷺ على المحافظة على الصلاة وأدائها بأوقاتها والقيام بها في قوله سبحانه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨].

ففي قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أمْرٌ وحثٌّ للنبي ﷺ على بإتمام جميع الصلوات في كل أوقاتها المطلوبة شرعًا، ثم جاء تفصيل ذلك في قوله سبحانه: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ والذي يكون بعد زوال الشمس، ويدخل فيه: وقت صلاة الظهر وصلاة العصر، ثم بعد ذلك يأتي صلاة المغرب والعشاء ويدخلان في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ وغسق الليل هي ظلمته، وأما قوله عز من قائل: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ فالمقصود فيه صلاة الفجر[(٣)].

ومما ذكره الباري عز وجل في كتابه العزيز لحث نبيه محمدٍ ﷺ على قيام الليل والتهجد قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ٨﴾ [المُزَّمِّل: ٦ : ٨].

يقول البقاعي: «ولما كان التقدير: فاجتهد في التهجد، عطف عليه قوله حاثًا على حضور الفكر: {وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ} أي: المحسن إليك والموجد والمدبر لك بكل ما يكون ذكرًا من اسم وصفة وثناء وخضوع وتسبيح وتحميد وصلاة وقراءة ودعاء وإقبال على علم شرعي وأدب مرعي ودم على ذلك،

(١) أخرجه ابن ماجة في سنن، برقم: ٢٥١، والترمذي في سننه، برقم: ٣٥٩٩. قال الألباني: صحيح دون قوله: والحمد لله.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم:٧٩٢١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

(٣) انظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٦٤) بتصرف.

فإذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى بالتوحيد»[١].

وقد امتثل النبي ﷺ هذا الأمر على أكمل وجه، فقد كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: «لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا» فلما كثر لحمه صلى جالسا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع»[٢].

المسألة الثالثة: حثُّه ﷺ على الجهاد وعدم موالاة الكفار:

لا شك أن الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ودينه على الدين كله من أعلى مراتب الدين والإيمان، فقد سماه النبي ﷺ ذروة سنام الإسلام[٣]، وبه اشترى الله عز وجل من المؤمنين أنفسهم كما قال سبحانه: {إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ} [التوبة: ١١١].

وقد قال تعالى حاثًّا نبيَّه ﷺ على الجهاد وآمرًا له بتحريض المؤمنين على الجهاد: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥} [الأنفال: ٦٤:٦٥].

قال ابن كثير: «يحرض تعالى نبيه صلوات الله وسلامه عليه والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم، أي: كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين»[٤].

ومما قاله سبحانه وتعالى على سبيل أمر وحث نبيَّه ﷺ والمؤمنين على الجهاد في سبيله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ}[التوبة: ٧٣].

قال المراغي: «أي: ابذل أيها النبي جهدك في مقاومة هاتين الطائفتين اللتين تعيشان بين ظهرانيك بمثل ما يبذلان من جهد في عداوتك، وعاملهما بالغلظة والشدة التي توافق سوء حالهما»[٥].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: ٤٨٣٧، ومسلم، برقم: ٢٨٢٠.

(٣) كما جاء في حديث معاذ رضي عنه الذي أخرجه أحمد في مسنده، برقم:٢٢٠١٦، وابن ماجه في سننه، برقم: ٣٩٧٣، والترمذي في سننه، برقم:٢٦١٦، والنسائي في السنن الكبرى، برقم:١١٣٣٠، قال الألباني: صحيح.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٦).

(٥) تفسير المراغي (١٠/ ١٦٣)

وقد وقع هذا الحث في قلبه ﷺ موقعًا عظيمًا حتى تمنى أن يموت مجاهدًا في سبيل الله، ففي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « والذي نفسي بيده، لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل «[1].

ولما عَظُم أمر الجهاد في قلبه ﷺ داوم على حث أصحابه عليه وكثرت أحاديثه في ذكر فضائل الجهاد وما أعدَّه الله للمجاهد، ورغَّبه به من الشهادة في سبيل الله، فمن هذه الأحاديث قوله ﷺ: «انتدب الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل» [2].

المسألة الرابعة: حثه ﷺ على إبلاغ الرسالة والصبر عليها:

إن إيصال رسالة الله للخلق ليس بالأمر السهل اليسير، كما قال سبحانه: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } [المزمل: ٥] بل يحتاج جهدًا وهمةً وعزمًا وإصرارًا، فلذلك جاء الحث من الباري عز وجل لنبيه ﷺ على إبلاغ رسالته والصبر على الأذى الذي يناله من أعداء الدين والمِلَّة.

قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ} [المائدة: ٦٧].

قال ابن عطية: «هذه الآية أَمْرٌ مِن الله لرسوله بالتبليغ على الاستيفاء والكمال، لأنه قد كان بلغ، فإنما أمر في هذه الآية بأن لا يتوقف عن شيء مخافة أحد، وذلك أن رسالته ﷺ تضمنت الطعن على أنواع الكفرة وبيان فساد حالهم فكان يلقى منهم عَنَتًا، وربما خافهم أحيانًا قبل نزول هذه الآية، فقال الله له {بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ} أي: كاملاً مُتَمَّمًا، ثم توعده تعالى بقوله: {وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ}، أي: إنك إن تركت شيئًا فكأنما قد تركت الكل، وصار ما بلغت غير معتدّ به»[3].

وقال البقاعي: «ولما أتم ذلك سبحانه وعلم منه أن من أريدت سعادته يؤمن ولا بد، ومن أريدت شقاوته لا يؤمن أصلاً، ومن أقام ما أنزل عليه سعد، ومن كفر بشيء منه شقي، وكان ذلك ربما فتر عن الإبلاغ، قرن بقوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ} [المائدة: ٤١]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: ٢٧٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: ٣٦.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢١٧).

قولَه حاثاً على الإبلاغ لإسعاد من أريد للسعادة، وهم الأمة المقتصدة منهم وإن كانوا قليلاً، وكذا إبلاغ جميع من عداهم»[١].

ولا شك أنه ﷺ قد بلَّغ جميع ما أُنزِل إليه من ربه على أتم وأكمل الوجوه والإتقان، من غير نقص ولا عجز، قال تعالى: {وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ} [التكوير: ٢٤]. أي: فلَمْ يبخل بشيء من الوحي وكتمه وأنقصه، وعلى قراءة: (ظنين) أي: ليس متهمًا[٢].

ومما ذَكَره الباري عز وجل حثًّا لنبيه محمد ﷺ ما جرى لنبيه موسى ﷺ مع قومه وما لاقاه من أذى منهم، وكيف كان صبره عليهم حتى جاءه نصر الله تعالى على كل من آذاه، قال سبحانه: {وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ} [طه: ٩].

قال أبو حفص النسفي مفسِّرًا هذه الآية: «وهذا حثٌّ للنبي ﷺ على الصبر على عبادةِ اللَّه تعالى وعلى أذى قومه، والجِدِّ في الدعاء لهم، فإن موسى فَعَلَ كذلك فكان له حسنُ العاقبة»[٣].

وقد تمثل النبي ﷺ هذا الأمر، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ولم يكتم شيئا مما أوحاه الله إليه، قالت عائشة: «من حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئًا مما أنزل الله عليه، فقد كذب»، والله يقول: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} [المائدة: ٦٧].[٤].

المسألة الخامسة: حثه ﷺ على الصفح:

إن مما يزيد الإنسان رِفْعة ومكانة عند الله تعالى وعند الناس عفوه عن مَن أساء إليه، فلا يزيد العفو الإنسان إلاّ عزًا، كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ:«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو، إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[٥].

ولقد مدح الباري عباده بعِدَّة صفات حسنة وذَكَرَ منها صفة الصفح والعفو، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشُّورَى: ٣٧].

وفي ذلك يقول الماتريدي: «ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ راجع إلى الأذى باللسان؛ من نحو الشتيمة، والسب، والذي لا يؤثر في النفس أثرا، حثهم على المغفرة

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦/ ٢٢٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، بتصرف (٥/ ١٠١).

(٣) التيسير في التفسير، لأبي حفص النسفي (١٠/ ٢٦٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: ٤٦١٢.

(٥) أخرجه مسلم، برقم: ٢٥٨٨.

والعفو، ومدحهم على ذلك»[١].

ومما ذَكَره الباري عز وجل في سياق حثِّ نبيه ﷺ وعباده المؤمنين على الصفح والمسامحة قوله سبحانه: {وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠} [الشورى: ٤٠].

وقد علَّق على هذه الآية النيسابوري فقال: « ثم حث مع ذلك على العفو والصبر قائلا: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ} ما بينه وبين خصمه بالإغضاء والعفو فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فإن الانتصار حسن في نفسه ولا سيما إذا كان فيه مصلحة دينية كزجر وارتداع إلا أن العفو أحسن لأنه لا يكاد يؤمن في الانتصار والتجاوز عن حد الاعتدال ولهذا حذر منه بقوله: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠}»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشُّورَى: ٤٠] يقول المراغي: «أي: فمن عفا عن المسيء وأصلح ما بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء عما صدر منه، فأجره على الله، فيجزيه أعظم الجزاء. وفى إبهام الأجر وجعله حقا على العظيم الكريم جل شأنه زيادة في الترغيب في العفو والحثّ عليه»[٣].

ومما أشار الباري عز وجل فيه على التحلي بالعفو، ختمه باسمين كريمين من أسمائه الحسنى وهما العفو والغفور في هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠﴾ [الحَج: ٦٠] مع أن من المتوقع من سياق الكلام أن تختتم الآية بما يدل على القوة أو العزة والنصرة!.

وقد أورد ابن جزي هذا التساؤل ثم أجاب عليه، وذلك بقوله: «ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟

فالجواب من وجهين:

- أحدهما أن في ذكر هذين الوصفين إشعار بأن العفو أفضل من العقوبة، فكأنه حض على العفو.
- والثاني أن في ذكرهما إعلاما بعفو الله عن المعاقب حين عاقب، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى[٤].

(١) تأويلات أهل السنة (٩/ ١٣٤).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٨٠).

(٣) تفسير المراغي (٢٥/ ٥٦).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٥).

وكذلك جاء ذِكر المغفرة في خَتم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [الحُجُرَات: ٥]، وهو مما يدل على حث الله تعالى نبيه ﷺ بالتحلي بالصفح والعفو والمسامحة[1].

المطلب الثاني: التسلية:

إن المتأمل في سيرة المصطفى ﷺ يجد أن دعوته قد أحيطت بصعوبات وتحديات، وهذه سنة الله تعالى في دعوة الرسل.

إلاّ أن هذه المشاق قد حُفَّت بعنايةٍ ربانية ورحمةٍ إلهية يلمسها القارئ في آيات كتاب الله الكريم.

وهذه الرحمة الإلهية تمثلت في تسليته ﷺ عما يلقاه من حزن أو ضيق، وتثبيته على الدعوة ومشاقها.

ولو تأملنا هذه الآيات لوجدناها أكثر ما تكون في السور المكية، وذلك لأن الحال في مكة يتطلب هذا النوع من الخطاب، فأكثر القوم في مكة مكذِّبون له ﷺ جاحدون لِمَا جاء به، ولا شك أن هذا الأمر له تأثير كبير في ضعف النفس وتثبيطها، فتطلَّب الأمرُ للإكثار منه هذا الأسلوب

أسلوب التسلية :

وقد تنوعت الوسائل في تسليته ومواساته ﷺ، فتارة يذكره الله تعالى أنه أعلم بما يقولون له، وأن تكذيب الكفار له ليس بدعًا من الأمر فهذه سنة الأمم السابقة مع أقوامهم، وأن الله تعالى بشَّر أولياءه بالتمكين وذلك بالانتقام من المجرمين الصادين عن سبيل الله.

وفيما يلي ذِكْرٌ لبعض الآيات التي تحمل معها تسلية للنبي ﷺ:

المسألة الأولى: تسليته ﷺ مما وقع مِن أذى المشركين به:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الرُّوم: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٢٨/ ٩٧) بتصرف.

ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأَنْعَام: ٣٤].

إن مما يبعث في النفوس الطمأنينة والتسلية معرفة أن كل ما جرى لها قد أصاب مَن كان قبلها، وهذا ما ذَكَرَه الباري عز وجل لنبيه محمد ﷺ ليتأسَّى بهم، فكما نصر الله أنبياءه على أقوامهم المشركين؛ سيكون مآل الأمر والنصر والدائرة إلى نَبِيِّهُ ﷺ، فهذه سنة الله في الأنبياء وأممهم.

قال ابن كثير: «هذه تسلية من الله لعبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس، فقد كذبت الرسل المتقدمون مع ما جاءوا أممهم به من الدلائل الواضحات، ولكن الله انتقم ممن كذبهم وخالفهم، وأنجى المؤمنين بهم»[1].

وقد ذَكَر الباري عز وجل في أكثر من موضع في كتابه العزيز بعض أنواعِ الأذى الذي تعرّضَ له بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهذه سنة الأقوام مع أنبيائهم، فلا تتبدل ولا تتغير بمر العصور، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذَّارِيَات: ٥٢].

ومن هذه المواضع قوله تعالى حكاية عن نبيه موسى ﷺ: ﴿لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ﴾ [الصَّف: ٥].

ولا شك أن هذا نوع من أنواع التسلية لنبينا ﷺ فيما لاقاه من أذى. فقد لاقى أكثر منه أخوه موسى عليه السلام، كما ورد في الحديث: « يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فصبر»[2]. فلهذا حذر الله تعالى عباده عن مشابهة حال الذين آذوا موسى، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾﴾ [الأَحْزَاب: ٦٩].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأَنْعَام: ٣٤]

يقول ابن عاشور: « والكلام على كل تقدير تسلية وتهوين وتكريم بأن إساءة أهل الشرك لمحمد عليه الصلاة والسلام هي دون ما أساء الأقوام إلى الرسل من قبله؛ فإنهم كذبوا بالقول والاعتقاد وأما قومه فكذبوا بالقول فقط. وفي الكلام أيضا تأس للرسول بمن قبله من الرسل»[3].

ومما أنزله الله على نبينا محمدٍ ﷺ تسلية له سورة يوسف، كما ذكر ذلك مكي ابن أبي طالب حيث قال: «وقيل: إن هذه السورة نزلت تسلية من الله تعالى لمحمد ﷺ، فيما يلقى من أقاربه من قريش.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٢١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: ٣٤٠٥، ومسلم برقم: ١٠٦٢.

(٣) التحرير والتنوير، (٧/ ٢٠٠).

فأعلمه ما لقي يوسف من إخوته»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾ [يُوسُف: ٧]

يقول الطبري: « وإنما أراد جل ثناؤه بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه يقال: إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه يعلمه فيها ما لقي يوسف من إخوته، وإذايته من الحسد، مع تكرمة الله إياه، تسلية له بذلك مما يلقى من إذايته وأقاربه من مشركي قريش كذلك»[2].

فهذه بعض من الآيات التي ذكرت تكذيب الأمم السابقة لأنبيائها، ومن تأمل المواضع الأخرى في الكتاب العزيز فإنه سيلحظ هذا الغرض بوضوح، وما ذلك إلا لعظيم ما تعرض له ﷺ من الابتلاءات.

المسألة الثانية: تسليته ﷺ مما وقع مِن تكذيب المشركين به:

إن مما يؤذي الانسان اتهامه بالكذب، ويزيد هذا الاتهام أذيةً إذا كان موجَّهًا إلى إنسان لم يُعْهَد عليه كذبًا قطُّ، ويزيد الطين بِلَّةً إن كان المُكَذِّب مشركًا الأصل فيه الكذب.

قال ابو العلاء المعرى في اختلال الموازين:

إذا وَصَفَ الطائيَّ بالبُخْلِ مادِرٌ ... وعَيّرَ قُسّاً بالفَهاهةِ باقِل
وقال السُّهى للشمس أنْتِ خَفِيّةٌ ... وقال الدّجى يا صُبْحُ لونُكَ حائل
وطاوَلَتِ الأرضُ السّماءَ سَفاهَةً ... وفاخَرَتِ الشُّهْبَ الحَصَى والجَنادلُ
فيا موْتُ زُرْ إنّ الحياةَ ذَميمَةٌ ... ويا نَفْسُ جِدّي إنّ دهرَكِ هازِل

عند ذلك تأتي التسلية من الباري عز وجل لنبيه مُحَمَّدٍ ﷺ بأن ما جرى عليه مِن تكذيبِ قومِهِ له هي سنة الله في كل الأنبياء السابقين له والرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، فهذا الأمر قد جرى لأول رسولٍ بعثه الله للبشر واستمر مع الجميع إلى أن بعث الله نبيه مُحَمَّدًا ﷺ، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾ [غَافِر: ٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ٢٥﴾ [فَاطِر: ٢٥] تسليةٌ لرسول الله مُحَمَّدٍ ﷺ، وحثٌّ له ألاّ يُضْعِفَه تكذيب المشركين له، فله ﷺ أُسوة حسنة بمَن كان قبلك من الأنبياء والرسل : مع ما أيدهم الله به الآيات والبراهين : وما

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٥٠٥).

(٢) تفسير جامع البيان (١٣/ ١٧).

كان بينهم وبين أقوامهم[١].

قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الحَج: ٤٢ : ٤٤]: « تسلية لرسول الله ﷺ متضمنة للوعد الكريم بإهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الأمور إليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما أن المقصود تسليته ﷺ عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع» [٢].

ومما سبق يتبين أن النبي ﷺ ليس أول نبي كُذِّبَ، بل قد سُبِقَ إلى ذلك، وهذا مما يخفف شدة الحزن ويزيد العزم على تحمل مشاق الدعوة، فإن الإنسان إذا علم أنه ليس وحده من وقع عليه هذا البلاء هان عليه هذا البلاء.

المسألة الثالثة: تسليته ﷺ مما وقع مِن اتهامات المشركين له والتشكيك فيه:

إن مما جاء في كتاب الله من تسلية للنبي ﷺ تسليتَه مما وقع من افتراءات كاذبة وتشكيك فيه ﷺ وفي صدقه في دعوته، كما ذكر ذلك الباري في قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفُرْقَان: ٧ : ١٠].

يُبيّن الباري عز وجل في هذه الآيات الكريمة كيف أراد المشركون التشكيك بالنبي ﷺ وبنبوته وذلك بإثارة الشبهة بأنه بشر حاله كحالهم، فهو ليس ملِكٌ من المُلوك، ولا مَلَك مِن الملائكة، فكما هو يحتاجون للطعام فهو كذلك بدليل أنه يأكل الطعام مثلهم، وهذا يتنافى مع كونه مَلَك، وكما هم مفتقرون للكسب والكد وذلك بالمشي في الأسواق بأنواع البيوع، فهو كذلك يضرب بالأسواق بأنواع البيوع وذلك دليل : بزعمهم : أنه ليس مَلِك من الملوك، فلا شيء عنده زائد عليهم، ثم ردَّ الباري عز وجل على هذه الشبهة والافتراءات مسلِّيًا نبيَّه ﷺ وأن كل ما نسبوه له كذب وافتراء وذلك بقوله: ﴿ٱنظُرْ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٧) بتصرف.

(٢) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١١٠).

كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ثم أخبر الباري سبحانه بعدها أن العطاء والمنع بيد الله وحده، لا بيد غيره، ولو شاء الله لجعل لنبيَّه ﷺ مُلْك الدنيا وما فيها، ولكن لحكمة هو وحده يعلمها، منع ذلك، وذلك بقوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾﴾

قال أبو السعود: « يعنون أنه إن صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا!؟ وهل هو إلا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور أنظارهم على المحسوسات، فإن تميز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية، وإنما هو بأمور نفسانية، كما أشير إليه بقوله تعالى {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد}، {لولا أنزل إليه ملك} أي على صورته وهيئته {فيكون معه نذيرا} تَنَزُّلٌ منهم مِن اقتراح أن يكون مَلَكًا مستغنيًا عن الأكل والشرب إلى اقتراح أن يكون معه مَلَكٌ يُصَدِّقُه ويكون رِدْءًا له في الإنذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة»[1].

وهكذا كل تهمة وشبهة اتهم المشركون المكذبون بها نبينا محمدًا ﷺ فإن الله سبحانه أبطلها، وبين وهاءها وضعفها، وواسى نبيه وسلاه عما أصابه من حزن وضيق أصابه بسببها، وذكره بأن العزة له وحده سبحانه، وأنه معز دينه وأهل طاعته، مذل الشرك وأهل معصيته، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ [يُونُس: ٦٥].

المسألة الرابعة: تسليته ﷺ مما وقع مِن عداوة قومه له:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأَنْعَام: ١١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفُرْقَان: ٣١].

في هاتين الآيتين يحث الباري عز وجل نبيَّه محمدًا ﷺ ويسليه بأنه ليس بدعًا من الرسل، وأن ما جرى عليه مِن ابتلاء قد جرى لأسلافه الذين سبقوه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن العداوة بين أهل الصلاح والمفسدين عداوة قديمة ومستمرة إلى قيام الساعة، وهذا الابتلاء بعداوة الكفار والمشركين والفسقة ليس خاصًّا بالأنبياء والرسل فقط، بل هو على كل مَن كان على هديهم واستنّ بسنتهم، من العلماء والدعاة والمصلحين. أي: كما جعلنا لمَن كان قبلك من الأنبياء أعداء فكذلك الشأن معك، فهذه سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير.

(١) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٠٤).

قال ابن عاشور: « اعتراض قصد منه تسلية الرسول ﷺ، والواو واو الاعتراض؛ لأن الجملة بمنزلة الفذلكة، وتكون للرسول ﷺ تسلية بعد ذكر ما يحزنه من أحوال كفار قومه، وتصلبهم في نبذ دعوته، فأنبأه الله: بأن هؤلاء أعداؤه، وأن عداوة أمثالهم لمثله سنة من سنن الله تعالى في ابتلاء أنبيائه كلهم، فما منهم أحد إلا كان له أعداء، فلم تكن عداوة هؤلاء للنبيء عليه الصلاة والسلام بدعا من شأن الرسل، فمعنى الكلام: ألست نبيئا وقد جعلنا لكل نبيء عدوا إلى آخره»[1].

ومما سبق يتبين أن لكل نبي عدوًا من المشركين، وأنه لم يخل نبي من وقوع الأذى عليه من أعدائه وأن كل أذى أراد المشركون أن يوقعوه على نبينا محمد ﷺ وأتباعه بسبب عداوتهم له قد وقع على من سبقه من الأنبياء قبله.

وأيضا يظهر لمتدبر هذه الآيات عناية الله تعالى برسوله ﷺ وأنه سبحانه هاديه وكافيه وناصره على أعدائه ولو بعد حين ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

المسألة الخامسة: تسليته ﷺ ومواساته بإعلامه بما حل بأعداء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله:

إن مما يبعث الطمأنينة في النفوس ويسليها معرفة مصير ومآل الأعداء، سيَّما إن كان العدو عدوًّا للدين والصلاح، ففي هلاكه إظهارٌ للدين وللإيمان، وفيه أيضًا تحذير لغيرهم أن يسلكوا ما سَلَكَ الظَلَمَةُ الضُلَّال فيحل عليهم ما حل على من سبقهم من عذاب ونكال.

والناظر في كتاب الله يجده مترعًا بما يدل على ذلك، ومما ذكره الباري قوله تعالى عن نوح عليه السلام أول نبي بعثه للناس: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يُونُس: ٧٣]، وقوله سبحانه عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النَّمْل: ١٣ : ١٤].

وفي ذلك يقول ابن عاشور: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، ويجوز أن يكون الخطاب للنبيء ﷺ تسلية له بما حل بالمكذبين بالرسل قبله؛ لأن في ذلك تعريضا بتهديد المشركين بمثل تلك العاقبة»[2].

(١) التحرير والتنوير (٨/ ٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٧١ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٧٤﴾ [الصَّافَّات: ٧١ : ٧٤].

قال ابن عثيمين في سرده لفوائد هذه الآيات أن فيها: «تسلية النبي ﷺ؛ لأن كل ما سبق فيه التحدث عن كفار قريش، فأراد الله عز وجل أن يسلي رسوله ﷺ بأن قومك ليسوا أول من ضل، بل قد ضل قبلهم أكثر الأولين، ففيه تسلية لرسول الله ﷺ، وفيها تأكيد لخبر هؤلاء الأمم الماضية التي قد يشك في خبرها من يشك، كما أن فيه أيضًا زيادة تهديد لهؤلاء المكذبين؛ لأنه قال بعده: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢﴾ [الصَّافَّات: ٧٢]»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٧١﴾ [الصَّافَّات: ٧١] دلالة على قلة أهل الإيمان بالنسبة للمشركين والكفار، وقد ذكر الباري عز وجل ذلك في موضع آخر في كتابه العزيز وذلك في قوله: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يُوسُف: ١٠٣].

وقال رسول الله ﷺ: {عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ، فرأيت النبيَّ ومعه الرُّهَيْطُ، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبيَّ ليس معه أَحَدٌ..... }[2].

المسألة السادسة: تسليته ﷺ مما وقع مِن استهزاء المشركين به:

لا شك أن مما قد يصيب النفس بضعف الهمة والفتور كثرة الاستهزاء، فإن النفس قد جبلت على حب العزة والتقدير والاحترام، فإن جاء ما ينافي هذه الأمور اضطربت النفس واختل نظامها، إلا مَن ثبَّته الله وعصمه ووقاه، وعلى رأس هؤلاء المثبَّتين: الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فقد نالهم ما نالهم من الاستهزاء والتسفيه من أقوامهم المشركين، كما في قول الباري عز وجل تسليةً لرسوله محمدًا ﷺ: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾ [الأَنْعَام: ١٠]، وبقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢﴾ [الرَّعْد: ٣٢] أي: كما صبر مَن كان قبلك من المرسلين والأنبياء على استهزاء أقوامهم بهم؛ فكذلك ليكن الشأن معك، فلست الوحيد الذي أصابته سهام الاستهزاء والسخرية، وكما نصرت من كان قبلك على مَن سخر به وأستهزئ فكذلك ستكون الدائرة لك عليهم بنصر الله لك عليهم.

---

(١) تفسير العثيمين: سورة الصافات (ص١٦١).

(٢) أخرجه مسلم رقم: ٣٧٤.

قال الطبري: « يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ مسليًا عنه بوعيده المستهزئين به عقوبةَ ما يلقى منهم من أذىَ الاستهزاء به، والاستخفاف في ذات الله: هَوِّنْ عليك، يا محمد، ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك، المستخفّين بحقك فيّ وفي طاعتي، وامضِ لما أمرتك به من الدُّعاء إلى توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي، فإنهم إن تمادوا في غيّهم، وأصَرُّوا على المقام على كفرهم، نسلك بهم سبيلَ أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم، من تعجيل النقمة لهم وحُلُولِ المَثُلاث بهم»[1].

ومما ذَكَره الباري في كتابه العزيز تسليةً لنبيّه محمد ﷺ على ما ناله من استهزاء وسخرية من مشركي قومه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [الحِجْر: ١٠ : ١٣]، وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ۝٤٧﴾ [الزُّخْرُف: ٤٧].

قال السمعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ۝٤٣﴾ [فُصِّلَت: ٤٣]: « هذا على طريق التعزية والتسلية للنبيﷺ، فإن الكفار كانوا يقولون: إنه كافر وساحر وشاعر ومجنون»[2].

وقد ذكر البيضاوي في تفسير قوله عز وجل: ﴿ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨﴾ [الزُّخْرُف: ٦ : ٨]: أن هذه الآية جاءت تسلية للرسول ﷺ مما أصابه من قومه من استهزاء[3].

فكل هذه الآيات وغيرها مما هو في كتاب الله يدل على عظيم تسلية الباري عز وجل لنبيّه محمد ﷺ وذلك بذكر ما ناله وتحمله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مِن قبله من استهزاء وسخرية من أقوامهم، وأنه ﷺ ليس أول من وقع عليه هذا الابتلاء، بل إن هذا الابتلاء سيستمر إلى أن يرث الله الأرض من عليها.

المسألة السابعة: تسليته ﷺ مِما وقع مِن الخَتْم على قلوب بعض المشركين مِن عدم الإيمان:

إن مما وصف الباري عز وجل نبيَّه محمدًا ﷺ بأنه رحمة أُرسِلت للناس، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأَنبِيَاء: ١٠٧]، ومن كانت هذه صفته لا شك ولا ريب أنه حريص على هداية الناس جميعًا، وأن عدم إيمان الناس بما جاء به من الحق من عند الله تعالى له وقع في

(١) جامع البيان (١١/ ٢٧١).

(٢) تفسير السمعاني (٥/ ٥٥).

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٨٧) بتصرف.

نفسه وحسرة وحزن، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكَهْف: ٦]، وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فَاطِر: ٨]، وَقَالَ ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [النَّحْل: ١٢٧]، وقوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الشُّعَرَاء: ٣]

ذَكَر ابن كثير أن في قوله سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ [الكَهْف: ٦] تسليةً لرسول ﷺ بسبب ما ناله من حزن لعدم إيمان مشركي قومه والابتعاد عنه وعما جاء به من عند الله تعالى[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِى ٱلۡعُمۡىَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ٤٣﴾ [يُونُس: ٤٣] يقول البغوي: «وهذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول: إنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع، ولا أن تهدي من سلبته البصر، ولا أن توفق للإيمان من حكمت عليه أن لا يؤمن»[٢].

ومن تأمل في قصة نبي الله نوح عليهم السلام وقومه ومقدار ما لبث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾ [العَنكَبُوت: ١٤]، باذلاً كل وقته لله تعالى ليله ونهاره، سرّه وعلانيته، ومع ذلك لم يأمن به إلا القليل؛ يعلم أن الله تعالى قد ساق هذه القصة العجيبة تسلية لرسول ﷺ عما يلاقيه من كفر قومه به والصد عنه وعن دعوته.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾ [الأَنْعَام: ١٠٧]، يقول ابن عاشور: «تذكير وتسلية ليزيح عنه كرب إعراضهم عن الإسلام لأن ما يحصل له من الكدر لإعراض قومه عن الإسلام يجعل في نفسه انكسارا كأنه انكسار من عهد إليه بعمل فلم يتسن له ما يريده من حسن القيام، فذكره الله تعالى بأنه قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة وأنه لم يبعثه مكرها لهم ليأتي بهم مسلمين، وإنما بعثه مبلغا لرسالته فمن آمن فلنفسه ومن كفر فعليها»[٣].

ففي هذه الآيات دليل على عظيم عناية الله تعالى ولطفه ورحمته بحال نبيه ﷺ في طريق دعوته، فإنه لعلمه أن النبي ﷺ لرأفته ورحمته قد يحمل نفسه فوق طاقتها سعيًا إلى هداية قومه، خاطبه ربه عز وجل بما يسليه ويخفف عنه هذا العبء، ونبهه أنه لم يبعث عليهم حفيظًا يحفظ أعمالهم وأقوالهم ويحصيها عليهم، وأنه ليس عليهم بقَيِّمٍ على أرزاقِهم وأقواتِهم وأمورِهم، وليس مُوكلًا بأعمالِهم؛

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٣٧) بتصرف.

(٢) تفسير البغوي (٤/ ١٣٥).

(٣) التحرير والتنوير (٧/ ٤٢٦).

فيحاسِبهم بها، ويجازِيهم عليها[١]، وإنما الذي عليه «التبليغ والسعي بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فبها ونِعمَت، وإلا فلا يحزن، ولا يأسف؛ فإن ذلك مُضعِفٌ للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة، بل يمضي على فعله الذي كُلِّفَ به، وتوجه إليه، وما عدا ذلك فهو خارج عن قدرته»[٢]. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البَقَرَة: ١١٩].

المسألة الثامنة: تسليته ﷺ مِما جرى عليه مِن مفارقته ﷺ مكة المكرمة:

إن الحنين للأوطان مما جُبِلت عليه النفوس، ولا أشدَّ على الإنسان من مفارقة الأوطان ومراتع الصبا وذكريات الشباب، ومما ابتُلِي به نبينا ﷺ تركه لمكةَ مسقط رأسه وأحب البلاد له ﷺ، كما ذكر ذلك ﷺ في قوله: {والله إنك لخير أرض الله، وأحب الأرض إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت}[٣].

وقال إبراهيم بن أدهم: «ما قاسيت فيما تركت شيئاً أشد علي من مفارقة الأوطان» [٤].

وقد ذكر الباري عز وجل في كتابه العزيز قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البَقَرَة: ١١٥]، تسليةً لنبيه محمد ﷺ وتثبيتًا له، وأن الأرض وجميع جهاتها هي لله تعالى، كل ذلك تطيبًا لنفس النبي ﷺ وأصحابه لمغادرته بلادهم وتركهم ديارهم وبيوتهم.

قال ابن كثير في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البَقَرَة: ١١٥]: « وهذا :والله أعلم: فيه تسلية للرسول ﷺ وأصحابه الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاهم، وقد كان رسول الله ﷺ يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه. فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، ثم صرفه الله إلى الكعبة بعد، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: ١١٥][٥].

وهذا النوع من الأذى : وهو إخراج من البلاد والديار : قد وقع على بعض الرسل السابقين وأتباعهم، كما بين الله تعالى ذلك في كثير من آياته منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إِبۡرَاهِيم: ١٣]، فهذه عادة

(١) انظر: تفسير ابن جري (٤٧٩/٩)، وتفسير ابن كثير (٣١٤/٣).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص/٤٧٠)

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: ١٨٧١٨. والدارمي في سننه، رقم: ٢٥٥٢، وابن ماجه في سننه، رقم: ٣١٠٨، والترمذي في سننه، رقم: ٣٩٢٥.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٣٨٠).

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٠).

قديمة للمكذبين الطاغين، ولكن الله تعالى ثبت نبيه وأيده بالمهاجرين والأنصار، وهيأ له خير الديار لإظهار دينه وإقامته، ووعده بالرجوع إلى داره بعد أن أُخْرِجَ منها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [القَصَص: ٨٥].

ومما سبق يتبين أن الوعد بالعودة والرجوع إلى المحبوب نوع من التسلية والمواساة، ومعين على الصبر والثبات.

المسألة التاسعة: تسليته ﷺ مِما وقع مِن افتراق الناس واختلافهم على مِلَلٍ ونِحَلٍ:

إن توحيد الكلمة وجمع الناس على الحق هدف كل داعيةٍ مُريدٍ إصلاح الناس والنجاة بهم، وهذا ما كان يريده نبيُّنا ﷺ ويسعى إليه، لكن قضت حكمة الله سبحانه على أن الافتراق والاختلاف من طباع البشر، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هُود: ١١٨ : ١١٩].

قال القاسمي: «﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ﴾ أي: مجتمعة على الحق والإيمان والصلاح، ولكنه لم يشأ ذلك ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هُود: ١١٨] أي: في الحق، منهم المؤمن به ومنهم الكافر به»[(١)].

قال الطبري في تفسيره لقوله تعالى: «﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشُّورَى: ٨]: وإنما قيل هذا لرسول ﷺ تسليةً له عما كان يناله من الهمّ بتولية قومه عنه، وأمرًا له بترك إدخال المكروه على نفسه من أجل إدبار من أدبر عنه منهم، فلم يستجب لما دعاه إليه من الحق، وإعلامًا له أن أمور عباده بيده، وأنه الهادي إلى الحق من شاء، والمضل من أراد دونه، ودون كلّ أحد سواه»[(٢)].

وهذا كما سبق في المسألة السابعة دليل على عناية الله بنبيه ﷺ، وتسلية له عما يلاقيه من حزن بسبب تفرق الناس وعدم اجتماعهم على الإسلام الذي فيه نجاتهم وسعادتهم، وتنبيه له أن يحمل نفسه فوق طاقتها.

---

(١) محاسن التأويل (٦/ ١٤٠).

(٢) جامع البيان (٢١/ ٥٠٥).

المسألة العاشرة: تسليته ﷺ مما وقع مِن المشركين مِن طلبات متعسِّفة:

إن مما كان يؤذي نبينا محمدًا ﷺ كثرة طلبات المشركين للآيات تعسفًا وعنادًا وتعجيزًا، لا استرشادًا وزيادة إيمان وطمأنينة قلب، وهذا الأمر لم يكن بشيء جديدٍ على الأنبياء والرسل فجميع الأمم السابقة قد فعلت الفعل نفسَه عنادًا وتعجيزًا واستكبارًا، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [البَقَرَة: ١١٨] وقد ثبت أنه ﷺ قد نهى عن طلب الآيات، وذلك خوفًا على أُمَّته من عدم الإيمان بها، فيصيبهم ما أصاب الأقوام المكذِّبين الجاحدين بالآيات.

وجاء في حديث جابر رضي الله عنه قال: لما مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بالحِجْرِ، قال: {لا تسألوا الآيات، وقد سألها قوم صالح، فكانت تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ....}[1].

ومما ذكره الباري عز وجل في كتابه العزيز عن طلب الأُمم السابقة الآيات تسليةً لنبينا محمد ﷺ ما جرى لنبي الله صالح عليه السلام حين طلب منه قومه المجيء بناقة على مواصفات معينة تكون له آية على صِدْقه، فأيَّده اللهُ بإخراجها من بين الصخور ضخمةً عُشَراء[2]، فآمن البعض، وبقِيَ الأكثر على الكفر والعناد[3]، قال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ﴾ [الأَعْرَاف: ٧٣].

وقد ضرب بنو إسرائيل المثل الأعلى في كثرة تعسفهم وطلباتهم من أنبيائهم الآيات على سبيل العناد واللجاج والتعسف، فها هم اليهود يطلبون من نبي الله موسى عليه السلام أن يرو الله جهرة شرطة إيمانهم به، كما ذكره ذلك الباري حيث قال: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البَقَرَة: ٥٥]، ثم يستمر هذا العناد والاستكبار إلى أن بعث الله نبيه عيسى عليه السلام لبني إسرائيل فيُعيد التاريخُ نفسَه ويسألون نبيهم آية تعجيزًا واستكبارًا، كما قال تعالى عنهم: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المَائِـدَة: ١١٢].

قال ابن عاشور: «وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾: أي: كمثل مقالتهم هذه قال الذين من قبلهم من الأمم مثل قولهم. والمراد بالذين من قبلهم اليهود والنصارى فقد قال اليهودُ لموسى: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ وسأل النصارى عيسى ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم: ١٤١٦٠، والحاكم برقم: ٣٢٤٨، وقال الذهبي: صحيح على البخاري ومسلم.

(٢) الناقة العُشَراء، إذا بلغت في حملها عشرَة أشهر، وقرُب وِلادها، والجمع عِشار. (جمهرة اللغة لابن دريد٢/ ٧٢٨).

(٣) منهم: الطبري (١٢/ ٥٢٤)، وابن عطية (٢/ ٤٢١)، والرازي (١٤/ ٣٠٥)، وابن كثير (٣/ ٤٤٠).

عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾. وفي هذا الكلام تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بأن ما لقيه من قومه مثل ما لاقاه الرسل قبله»[1].

(١) التحرير والتنوير (١/ ٦٨٩).

الخاتمة، وفيها أهم النتائج

أحمد الله تعالى على تمام هذا البحث، والذي وقفت فيه على غرضين مهمين من أغراض خطاب النبي ﷺ في القرآن الكريم، وهما الحث والتسلية، وقد تبين من البحث:

١: ورود أغراض متعددة لخطاب النبي ﷺ في القرآن الكريم، ومن أهمها: الحثُّ والتسليةُ.

٢: هناك صور مختلفة لغرض الحثِّ للنبي ﷺ في القرآن الكريم، وقد ذكرتُ في هذا البحث أهمها، وهي خمس صور وردت في أثناء هذا البحث.

٣: تسلية النبي ﷺ جاءت بطرق مختلفة، وقد ذكرت في هذا البحث أهمها، وهي عشر طرق وردت في أثناء هذا البحث.

٤: هذه الأغراض الواردة لخطاب النبي ﷺ تفتح للباحثين باباً واسعاً من البحث في أغراض الخطاب القرآني، بل وخطاب الشرع عمومًا.

٥: كما تُبَيِّن أغراضُ خطاب النبي ﷺ خاصةً عظيمَ قدره، ومنزلته عند الله تعالى.

فهرس المراجع والمصادر

• ابن أبي زَمَنين، محمد بن عبد الله، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: حسين بن عكاشة، الناشر: الفاروق الحديثة : القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ

• ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٦هـ.

• ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق وإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة ١٤٢١ هـ.

• ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين : بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

• ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر، طبعة: ١٩٨٤ هـ.

• ابن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الناشر: عالم الكتب.

• ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية: ١٤٢٢ هـ.

• ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية: ١٤٢٢ هـ.

• ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، طبعة: ١٣٩٩هـ.

• ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر، طبعة:١٤٢٠هـ.

• ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر، طبعة:١٤٢٠هـ.

• ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية : فيصل عيسى البابي الحلبي.

• ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الناشر: دار صادر: بيروت، طبعة:١٤١٤هـ.

• أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي : بيروت: ٢٠١٠م.

• أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: السعادة : بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ

• الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي : بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

• البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، حقيق: محمد زهير، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: ١٤٢٢هـ.

• البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

• البيضاوي: عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن، الناشر: دار إحياء التراث العربي، طبعة: ١٤١٨ هـ.

• الترمذي: محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر، طبعة: ١٣٩٥ هـ.

• الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين : بيروت، الطبعة: ١٤٠٧هـ.

• الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٤١١هـ.

• الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، مسند الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

• الرازي، محمد الحنفي، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية : الدار النموذجية، بيروت : صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ.

• الرازي، محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، تحقيق: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠ هـ.

• الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، حقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية : دمشق بيروت، الطبعة: الأولى : ١٤١٢ هـ.

• الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

• الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة:١٤٠٧ هـ.

• السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

• السمعاني، منصور بن محمد، تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة: ١٤١٨هـ.

• الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.

• الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، شرح مختصر الروضة، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى: ١٤٠٧ هـ

• العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم «سورة الصافات»، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض : المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

• العسكري، الحسن بن عبد الله العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

• القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: ١٤١٨هـ.

• الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش : محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة : بيروت.

• الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تأويلات أهل السنة، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت، طبعة:١٤٢٦هـ.

• المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، الناشر: مكتبة مصطفى البابى الحلبي، بمصر، طبعة:١٣٦٥هـ.

• مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة: ١٤٢٦هـ.

• مكي، مكي بن أبي طالب القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن، تحقيق:

مجموعة رسائل جامعية، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة: جامعة الشارقة، طبعة: ٢٠٠٨م.

• المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، التوقيف على مهمات التعاريف، الناشر: عالم الكتب: القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

• المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، طبعة: ١٣٥٦هـ.

• النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة : بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

• النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي، التيسير في التفسير، المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، الناشر: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول : تركيا، الطبعة: الأولى: ١٤٤٠هـ.

• النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه: بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٦هـ.